ABES13

[**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**](https://al-badr.net/detail/ac7GBxpgHqzS)

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله؛ اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتنا ، وزدنا علمًا ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد:

فإن مما اشتلت عليه وصايا النبي عليه الصلاة والسلام ومواعظه في حجة الوداع ، وقد خطب الناس عليه الصلاة والسلام في حجته غير مرة ؛ فخطب يوم عرفة ، ويوم النحر ، وخطب أيضا في أوساط أيام التشريق ، ومما اشتملت عليه خطابته هذه: الحث على تقوى الله عز وجل وتعظيم شأنها وأمرها ، وأن تقوى الله جل وعلا هي الميزان الذي يكون به تفاضل الناس ، فليس تفاضلهم عائدًا إلى صورة البشرة ، أو هيئة الإنسان أو قامته ، أو لون بشرته من سواد أو بياض أو حمار ، وليس عائدًا إلى الأرض التي هو يعيش فيها ووُلد ونشأ وترعرع ، فليس الميزان راجع إلى شيء من ذلك؛ وإنما هو راجع إلى تحقيق تقوى الله عز وجل ، والمفاضلة بين الناس عائدة إلى ذلك .

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي نضرة قال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: ((أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى ؛ أَبَلَّغْتُ؟)) قَالُوا: «بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم» . فهذا بلاغٌ مبين وبيانٌ بيِّن وكلام واضح من الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ؛ أن ميزان التفاضل والمفاضلة بين العباد إنما هو عائد إلى حظ كلٍّ من تقوى الله سبحانه وتعالى .

والمعنى نفسه الذي جاء في الحديث جاء في القرآن في سورة الحجرات ؛ حيث قال الله سبحانه وتعالى : {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)} ، فالأتقى لله هو الأكرم عند الله سبحانه وتعالى . وقوله جل وعلا في هذه الآية {أَتْقَاكُمْ}هذا فيه أن التقوى متفاضلة بين العباد ليسو فيها على درجة واحدة ، بل بعضهم أفضل من بعض ، ويتفاوتون في التقوى ؛ وعليه فإن التقوى تزيد وتنقص وتقوى وتضعف ، والعبد الناصح لنفسه يجاهدها على ما يكون به زيادة تقواه لا نقصها ، قوة تقواه لا ضعفها .

قد جاء في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال : ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)) لا ينظر إلى صوركم ؛ هذا طويل وهذا قصير ، وهذا لونه أسود وهذا لونه أبيض ، وهذا شعره كذا وهذا شعره كذا ، هذه كلها ليست موطن النظر ، ولا المال هذا صاحب مال وثراء وتجارات وهذا فقير هذا ليس موطن نظر ، وإنما موطن النظر والمفاضلة العمل والتقوى ، وفي حديث آخر أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى صدره ثلاث مرات وقال: ((التَّقْوَى هَا هُنَا)) أي: منبع التقوى هو القلب الذي قال عنه عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر : ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)) . فالتقوى مرتكزها ومنبعها وأصلها هو القلب .

وهنا ننتبه إلى أمر ؛ إذا كان القلب هو مرتكز التقوى فالقلوب لا تُرى ، لا يراها إلا الله علام الغيوب سبحانه وتعالى ، ولهذا بالأعمال الظاهرة التي تُرى من الناس لا يمكن أن يُحكم من خلالها بمن الأتقى لله عز وجل ، ولهذا جاءت أيضًا الآية واضحة في هذا الباب قال الله سبحانه وتعالى : {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}[النجم:32] ؛ لا تزكي أنت نفسك ولا تزكي غيرك ، لكن من رأينا عليه صلاحًا ديانةً استقامةً محافظةً على طاعة الله نرجو له لكن لا نجزم لأحد ، نرجو لمحسننا ونخاف على مسيئنا ، لكن لا يزكي العبد نفسه مهما كان عمله ، ولا يزكي غيره ؛ لكن يرجو للمحسن ، والمسيء يُخاف عليه لإساءته .

تقوى الله عز وجل شأنها عظيم ، وليست التقوى مجرد قولٌ يقال أو دعوى تدَّعى ، لأنه من السهل على كل لسان أن يقول إنه من المتقين أو من أهل التقوى ، وليست العبرة بهذا وإنما العبرة بالحقائق والصدق مع الله سبحانه وتعالى في تحقيق التقوى والاتصاف بصفات المتقين . والقرآن الكريم فيه آيٌ كثير يذكر الله سبحانه وتعالى فيها صفات المتقين؛ مثل ما جاء في أول سورة البقرة: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)}كأنه قيل ما صفاتهم؟ قال: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)} فذكر جل وعلا صفاتهم .

في سورة آل عمران قال جل وعلا : {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)} كأنه قيل ما هي صفاتهم؟ فذكر الله سبحانه وتعالى صفات هؤلاء: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)} ؛ فذكر جل وعلا صفاتهم .

وهكذا في القرآن آيات كثيرة يتدبرها العبد ويجاهد نفسه على تحقيق التقوى والاتصاف بصفاتها . وعندما تقرأ آيات التقوى في آيات الحج في سورة البقرة تجد الوصية التقوى تكررت في تلك الآيات ؛ مثل الآية الأولى ختمها سبحانه وتعالى بقوله : {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(196)}**،** والتي بعدها ختمها بقوله: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)}**،** والأخيرة ختمها بقوله:{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203)}.آيات الحج في سورة الحج أيضًا تكرر فيها الوصية بالتقوى:{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32)} **،** {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ } [الحج:37] .

فالتقوى هي الأساس وهي الميزان كما تقدم في المفاضلة والتفاضل بين العباد ؛ ولهذا من عِبر الحج ودروسه التي يجب أن يستفيدها الحاج من حجه لبيت الله الحرام من خلال هذا الحديث الذي تقدم معنا((أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى)) ؛ يخرج الحاج من هذا بعبرة عظيمة في هذا الباب وهي : أن ميزان المفاضلة بين العباد هي تحقيق تقوى الله سبحانه وتعالى ، وإذا حسن فهْم ذلك وحقق هذا الإيمان فعلًا في هذا الحديث ومدلوله حققه في قلبه زال عنه بإذن الله سبحانه وتعالى النعرات الجاهلية التي يُبتلى بها كثير من الناس والتعصبات العِرقية للون أو البشرة أو غير ذلك ، ولهذا تجد في كثير من المجتمعات حتى باب السخرية رائج ؛ هذا يسخر من ذاك للونه ، أو هذا يهزأ بهذا لقامته ، إلى آخر ذلك من صور ليست من دين الله تبارك وتعالى وإنما هي من أعمال الجاهلية .

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى له كلام في هذا الباب جميل للغاية في كتابه رحمه الله تعالى «اقتضاء الصراط المستقيم» يتحدث عن المفاضلة والفضل الحقيقي ، أقرأه بنصِّه لجودته ونفاسته وعظيم فائدته يقول : «إذ الفضل الحقيقي: هو إتباع ما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من الإيمان والعلم باطناً وظاهراً ، فكل من كان فيه أمكن -يعني العلم والإيمان- كان أفضل. والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل: الإسلام، والإيمان، والبر والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا بمجرد كون الإنسان عربياً أو عجمياً، أو أسود أو أبيض ، ولا بكونه قروياً أو بدوياً» . هذا كلام عظيم جدًا وهو مبني على حديث النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ((أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ...)) الخ . ولهذا يجب على الإنسان أن يزمَّ نفسه بزمام التقوى ، وأن يجاهد نفسه على أن يكون من المتقين ، فإن الكرامة عند الله والفضل والشرف إنما هو بتحقيق تقوى الله عز وجل ، مرة سأل الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: من الأكرم؟ قال : ((الأكرم: الأتقى لله)) ، هذا هو الميزان؛ الأكرم هو الأتقى لله ، كلما جاهد الإنسان نفسه على تحقيق التقوى والتحلي بها والاتصاف بصفات أهلها كان أعلى وأكرم وأرفع عند الله سبحانه وتعالى بحسب حظه ونصيبه من التحقيق لتقوى الله .

ولهذا فإن تقوى الله هي وصية الله جل وعلا للأولين والآخرين من خلقه كما قال الله سبحانه : {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ}[النساء:131] ، وهي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ، ولا تخلو خطبه ومواعظه ووصاياه من الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى ، وهي وصية السلف فيما بينهم ؛ قال رجل لعمر بن الخطاب : «اتق الله» ، قال: «لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير إذا لم نقْبَلها» ، وفي القرآن الكريم قال الله تعالى : {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ}[الأحزاب:1] فالتقوى وصية لجميع العباد ؛ وصية للرسل ، وصية لجميع العباد ، وصية من الرسل للعباد ، وصية من أهل الفضل كلهم والعلم للناس ؛ فهي أعظم الوصايا وأجلّها على الإطلاق .

وحقيقة التقوى: أن تجعل بينك وبين ما تخشاه من سخط الله وقاية تقيك ؛ أرأيت الآن الشخص الذي يخشى من حرارة الشمس كيف يتقيها بالشمسية ، والذي يخشى من شدة البرد كيف يتقيها بالملابس الشتوية ؛ تقوى الله سبحانه وتعالى: أن تجعل بينك وبين ما تخشاه من عقاب الله وسخطه وقاية تقيك ، وذلك لا يكون إلا بفعل المأمور وترك المنهي ، وهذه حقيقة التقوى لا تكون إلا بفعل المأمور وترك المنهي ومجاهدة النفس على لزوم الطاعة لله سبحانه وتعالى . سئل أحد التابعين حقيقة التقوى قالوا أجمِل لنا التقوى؟ قال : «تقوى الله: عمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله ، وتركٌ لمعصية الله على نور من الله خيفة عذاب الله» هذه حقيقة التقوى ، حقيقة التقوى علم وعمل ، مجاهدة للنفس على الطاعة ومجانبة للمعصية والخطيئة ، وحال الوقوع في شيء من المعاصي المبادرة إلى التوبة والإنابة خوفًا من الله وعقوبته سبحانه وتعالى ، «على نور من الله» التقوى هكذا ، التقوى على نور على ضياء على علم على بصيرة ،كيف يتقي من لا يدري ما يتقي! التقوى لابد فيها من علم لابد فيها من بصيرة ، ولابد في التقوى من رجاء وخوف {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ}[الإسراء:57] فمن أخص أوصاف المتقين رجاءهم العظيم لرحمة الله وخوفهم الشديد من عقاب الله . فهذه حقيقتها ؛ حقيقتها جهاد مستمر للنفس على إصلاحها .

ومهما بلغ العبد بنفسه صلاحًا وتزكية لنفسه وإقامةً لها على طاعة الله سبحانه وتعالى فإنه لا يزكي نفسه بل دائما يرى نفسه مقصرًا في حق الله وفي جنب الله ولا يزال فيه قصور ، إذا صلى واجتهد في تكميل صلاته إذا أنهى صلاته كما جاء في السنة يقول «استغفر الله استغفر الله استغفر الله» مع أنه الآن قال «السلام عليكم ورحمة الله»! عبادة وطاعة وسجود وخضوع ثم يقول: «السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، استغفر الله، استغفر الله ، استغفر الله» يستغفر في هذا الموطن على إثر الصلاة يستغفر ، الحج {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ}[البقرة:199] عبادات وطاعات ووقوف بعرفة وأعمال جليلة وعظيمة ومأمور أن تقول بعدها استغفر الله .

ولهذا دائما العبد يرى نفسه مقصرا لا يخرج من الطاعة الحج وغيره وهو يرى نفسه مكمِّلا وأنه وأنه ، بل يرى نفسه مقصرا ، ولهذا من وصايا السلف قديما : أنك إذا فعلتَ الطاعة اجعلها وراءك لا تنظر إليها لا تضعها أمامك ، وإذا فعلت المعصية ضعها أمامك واجعلها نصب عينيك وانظر إليها ، إذا جعل الإنسان طاعته أمامه وينظر إليها أصيب بالعجب والغرور ورأى نفسه مكمِّل ، حتى الآن الابتلاءات التي حصلت للناس بالصور يصوِّر نفسه في الحج وفي المشاعر وينظر إلى نفسه في الحج وفي كذا كل مرة ينظر إلى عمله؛ هذه مشكلة في نفس العبادة، هذه مشكلة في نفس التقوى لله عز وجل ، العبادة التي تقوم بها لا تلتفت إليها لا تنظر إليها ، انظر إلى الأخطاء التي عندك إلى المعاصي إلى الذنوب ، حتى بعض العلماء المتقدمين يمثِّل لذلك بمثال في نظر الإنسان لعمله الصالح وعمله السيء يقول: كن كرجل يحمل زنبيلين ؛ أحدهما خلفه مخروق ، والثاني أمامه مُحكم ؛ فما كان من خطيئة فليكن في المحكم ، والطاعة في الوراء لا تنظر إليها ولا تلتفت إليها ، قدَّمتها انتهت ترجو شيئًا عليها يوم تلقى الله سبحانه وتعالى ، لا تنظر إلى أعمالك وأني فعلت وفعلت إلى آخره لا تنظر إلى هذا ، لكن انظر إلى تقصيرك وأكثِر من الاستغفار والإنابة إلى الله والرجوع إليه سبحانه وتعالى ؛ هذا كله من التحقيق لتقوى الله سبحانه وتعالى والتكميل للنفس بالطاعة والعبادة والعمل الصالح .

جعلنا الله أجمعين من عباده المتقين وأوليائه المقربين ، وأصلح الله لنا شأننا أجمعين .

الأسئلة

**ما هي صفات أولياء الله؟ وكيف نعرفهم؟ وما الفرق بينهم وبين أولياء الشيطان ؟**

في جواب هذا السؤال آية من القرآن وحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهما كفاية في الجواب على هذا السؤال ؛ الآية أو الآيات قول الله سبحانه وتعالى في سورة يونس : {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}؛ هذه صفاتهم ، وصفهم الله سبحانه وتعالى بالإيمان والتقوى ، ولهذا قال السلف أخذًا من هذه الآية : «من كان مؤمنًا تقيا كان لله وليّا» ، فولي الله هو المؤمن التقي . والإيمان والتقوى إذا جُمع بينهما يراد بالإيمان: العقيدة والعمل الصالح ، ويراد بالتقوى: مجانبة الآثام والبعد عن الذنوب .

وأما الحديث فهو في الصحيح وهو مشهور عند العلماء بـ«حديث الولي» اسمه هذا ، سماه العلماء بحديث الولي ؛ قال عليه الصلاة والسلام : ((قال الله تعالى :مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)) كأنه قيل: من هم يا الله أولياؤك الذين إذا عادهم أحد آذنتهم بالحرب؟ من هم ؟ ما صفتهم ؟ قال جل وعلا : ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ)) ؛ فهذا الحديث فيه بيان من هم الأولياء ، بل فيه أن أولياء الله على درجتين :

الدرجة الأولى: من هم محافظون على فرائض الدين الصلاة الصيام إلى غير ذلك من الفرائض ومجتنبون المحرمات والكبائر والعظائم ، لكن ليس عندهم نشاط في النوافل والرغائب والمستحبات ؛ فهؤلاء أولياء ، الذي يحافظ على فرائض الإسلام وواجباته ويتجنب الحرام حتى لو كان ما عنده نشاط للنوافل والرغائب والمستحبات هذا ولي من أولياء الله .

والدرجة الثانية للولاية أعلى : يزيد على محافظته على هذه الفرائض والواجبات يزيد عليها العناية بالنوافل ، باب النوافل واسع ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)) يعني تعلو درجته ومنزلته في محبة الله والفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى ، وينال تلك الفضائل العظيمة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث.

ولهذا الولي الصادق من أمارته وعلامته البينة: أنه لا يقول للناس أنني من الأولياء وأنني ولي لله ، لا يزكي نفسه ، فضلًا أن يدَّعي لنفسه الولاية لتكون وسيلة لمطامع دنيوية ، وهذه من عظيم المصائب التي بُلي بها الناس؛ يدَّعي الولاية ويوصف بأوصاف يبالغ بها حتى ينال بذلك مطامع دنيوية . الولي الصادق ما يزكي نفسه ، الولي الصادق يرى نفسه مقصر دائمًا ويرجو رحمة الله ويخاف عذابه ، انظر لما ذكر الله صفات أولياء الله المتقين المؤمنين الكمَّل في سورة المؤمنون قال : {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} يعني يقدِّمون ما يقدِّمون من طاعات وقلوبهم خائفة ، المؤمن يحسن في العمل ويخاف ، ما يزكي نفسه ، عبدالله بن أبي مليكة من علماء التابعين يقول : «أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه» ، ما يزكون أنفسهم ولا يقول أنا وأنا وأنا ، ما يزكي نفسه بل يرى نفسه مقصرا ، ولهذا من علامة الولي أنه لا يزكي نفسه ، لا يرى نفسه شيء ، ولا يمكن أيضا أن تجزم لشخص مهما كان عمله أنه من الأولياء وأن هذا ولي لله ، ما يمكن أن يُجزم له ، لكن إذا حسنت أعمال الشخص ممكن أن نقول نرجو أن يكون من الأولياء ، نرجو لمحسننا لكن لا نجزم {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}[النجم:32] لا يزكي بعضكم بعضا .

**هناك من يستدل بقول الله عز وجل {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}**[الضحى:11] **فيقوم بسرد ما منَّ الله عليه من حج وصلاة وصيام وقيام وأعمال صالحة فما تنصحونه ؟**

الاستدلال بالآية على الوصف الذي ذكر السائل في سؤاله ليس في محله ، وأعمال العبد الصالحة مهما اجتهد فيها تتميمًا وتكميلًا لا يأتي بها ذكرًا للناس ثناء على نفسه بها ومدحا لنفسه بتلك الأعمال ، لأن هذا مدخل على العبد في باب الرياء والمراءاة بالعمل والتسميع بالعمل ((من سمع سمَّع الله به)) فهذا باب من هذه الأبواب التي تدخل الإنسان في التسميع بعمله ، أما التحديث بنعمة الله سبحانه وتعالى {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}: أن تظهر نعمة الله على عبده حمًدا وثناءً وشكرًا لله سبحانه وتعالى على نعمه . أيضا لما يتحدث عن الحج مثلا من حيث التيسير الذي حصل والراحة التي حصلت ونعمة الله عليه بذلك هذا لابأس به يعدِّد النعم ، لكن أن يذكر عباداته على سبيل الثناء على نفسه بها ومدح نفسه بها هذا يدخله في باب المراءاة .

**ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) ؟ وإن كنت اكتويت بسبب مرض هل أكون منهم ؟**

هنا ذكر النبي عليه الصلاة والسلام هذه الأوصاف لما ذكر السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب ، وكان الصحابة رضي الله عنهم خاضوا فيهم قال بعضهم : «هم الذين صحبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم» ، وقال بعضهم : «هم الذين وُلدوا فالإسلام» وذكروا أقوال ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أن هؤلاء السبعين الذين يدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب ((هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) ، وجميع الأوصاف المذكورة لهؤلاء كلها راجعة إلى تحقيق التوكل وقوة التوكل على الله سبحانه وتعالى ، حتى إنهم من قوة توكلهم على الله تركوا بعض الأمور الجائزة ، الكي جائز ليس حرام ، إذا احتاج إليه العبد هو جائز ليس بحرام ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ -وذكر منها- الْكَيِّ)) وهو في صحيح البخاري ، فالكي جائز مباح ليس محرما ، لكن لما فيه من إيذاء للبدن وإيلام له بالنار فإن هؤلاء السبعين ألف من قوة توكلهم على الله سبحانه وتعالى إذا احتاجوا إلى مثل هذا العلاج يتركونه؛ لقوة التوكل على الله سبحانه وتعالى . ومثله الاسترقاء ؛ الاسترقاء هو طلب الرقية ، لا يقال إن طلب المرء الرقية من غيره محرم ، هذا مباح ليس بمحرم لكنه خلاف الأولى ، ولهذا هؤلاء من قوة توكلهم على الله سبحانه وتعالى لا يسترقون ، لا يطلبون من أحد أن يرقيهم . الحاصل أن هذا فيه وصف لهؤلاء وهو عائد إلى قوة التوكل على الله جل وعلا .

**عندنا في بلدنا بعض السحرة والكهان ويقصدهم المرضى لفك السحر وطلبًا للشفاء؛ فما هي نصيحتكم؟**

هذا باطل وحرام والساحر لا يؤتى إطلاقا بأي حال ، لا يؤتى إطلاقا لا يؤتى لطلب سحر ولا لفك سحر ، وهذا الذي هو إتيان الساحر من أجل أن يفك سحرًا عن المسحور هذا من عمل الشيطان ، لما سُئِلَ عليه الصلاة والسلام عَنِ النُّشْرَةِ قَالَ: ((هي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) النشرة: هي فك السحر عن المسحور ، ففك السحر بسحر مثله هو من عمل الشيطان وهو عمل باطل محرم لا يجوز ، ولهذا لا يجوز أن يؤتى الساحر . وتأمل جيدا في قول الله سبحانه وتعالى {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}[طه:69] يعني الساحر مفارق تمامًا للفلاح من كل جهة ؛ هذا حكم الله جل وعلا في السحرة {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}أينما توجه أي شيء قام به هو مجانب للفلاح وهو في بعد ومنآى عن الفلاح ، حيث أتى أين توجه أي شيء قام به هو غير مفلح ، فإذا كان هذا وصف الله له أنه لا يفلح حيث أتى كيف يؤتى ويذهب إليه ويرجى من جهته وهو كما وصفه الله به لا يفلح حيث أتى ! هذه صفة الساحر ، إذا كان لا يفلح حيث أتى كيف يؤتى ويطلب منه!! إذا قال قائل: "جرَّب فلان وفلان وعلان وذهبوا وكان فيهم المرض الفلاني فذهب عنهم" يقال : نعم قد يذهب المرض لكنه أعقِب بمرض أعظم منه وهو الإتيان للساحر ، لأن إتيان الساحر ينبني عليه أعمال جزء منها شرك بالله سبحانه وتعالى ، فقد يكون مثلا زال عنه شيء لكنه بُلي بما هو أعظم منه وهو ما يتعلق بذهاب الدين أو رقة الدين أو فساد الدين أو الخلل فيه . فالحاصل أن الساحر لا يؤتى إطلاقا ولا يذهب إليه لا لطلب سحر ولا لفك سحر ، هذا وهذا كله حرام وباطل.

**ما حكم من ترك طواف الوداع ؟**

طواف الوداع من واجبات الحج ، وواجبات الحج سبعة آخرها هو طواف الوداع ، ومن ترك واجبًا من واجبات حجه يلزمه أن يذبح شاة في مكة لفقراء الحرم تُقسم على فقراء الحرم يجبر بذلك هذا النقص الذي حصل بترك واجب من واجبات حجه . ولا يلزم أن يذهب وإنما يرسل إلى أحد هناك يقوم عنه بذلك ؛ يشتري ويذبح له شاة تقسم على فقراء الحرم .

**جئت من بلدي للحج ثم جئت للمدينة ؛ فهل يجوز لي أن أرجع بعمرة ؟**

نعم يجوز لك إذا كان عندك سعة من الوقت وأردت أن تنشئ عمرة من المدينة يجوز لك ذلك .

**ما حكم من قال "الله في كل مكان" ؟ وهل تجوز الصلاة خلفه؟**

هذا القول من الكفر ويتنافى مع تعظيم الله وقدره سبحانه وتعالى حق قدره ، قال الله جل وعلا : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[الزمر:67] ، والله عز وجل كما نطقت آيات القرآن وأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وتقرر في الفِطر عليٌّ على خلقه سبحانه وتعالى ، ومن أسمائه الحسنى «العلي» و«الأعلى» و«المتعال» وهذه كلها أسماء في القرآن وهي كلها تثبت علو الله على خلقه ، وأخبر في آيات عديدة من القرآن باستوائه على العرش المجيد ، والاستواء هو العلو والارتفاع، وتنوعت الدلائل المثبتة لعلو الله والبراهين ، أما أفرادها فتعد ليس بالمئات إنما بالآلاف مثل ما قال ابن القيم في نونيته : «يا قومنا إن لقولنا ألفًا تدل عليه بل ألفان» يعني الأدلة على علو الله على خلقه سبحانه وتعالى .

والذي لا يثبت علو الله على خلقه لا مناص له من عقيدتين كل واحدة أفسد من الأخرى وأخبث من الأخرى ؛ إما أن يقول والعياذ بالله كما في هذا السؤال "الله في كل مكان" تنزه الله عن ذلك وتقدس علوًا عظيما ، وإما أن ينفي النفي المطلق "لا فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه" وهذا وصفٌ لله بالعدم ، حتى قيل : من أراد أن يصف العدم لن يجد أبلغ من وصف الجهمية ربهم لا فوق ولا تحت الى آخره . فالذي لا يثبت علو الله سبحانه وتعالى على خلقه لا مناص له ولا مفر من هاتين العقيدتين ، وكل منهما أفسد من الأخرى .

وإثبات العلو هو التعظيم لله والتقديس له ، وهو قدرٌ لله سبحانه وتعالى حق قدره ، وهو الإيمان بكتابه والإيمان بسنة رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

والقول في حد ذاته كفر ، لكن شيخ الإسلام لما كان يناظر بعض من يقولون مثل هذه المقالات يقول : «لو قلت بقولكم لكفرت ، ولستم عندي كفارًا» ، لأن بعض الناس عنده شُبه وعنده فهم خاطئ لبعض النصوص ولُبِّس عليه في ذلك وشُبِّه عليه . فالحاصل أن عقيدة القرآن وعقيدة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وعقيدة المؤمنين هي: إثبات علو الله على خلقه وإثبات استوائه على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.